الإعجاز العلمي بين الدوافع والضوابط

محمد هاشم البشير

2012-05-26

بالتعاون مع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة مكتب السودان بقيادة البروفسور مبارك مجذوب، نظمت جامعة وادي النيل برعاية البروفسور علي عبد الله النعيم مدير الجامعة مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الذي شرفه بحضوره والي ولاية نهر النيل الفريق الهادي عبد الله، تشرفت بحضور جلساته العلمية التي قدمها عدد من الأعلام من الجامعات السودانية المختلفة التي كانت جلسات تجديد للإيمان في رحاب العلم و العلماء و تجديد أواصر الاتصال العلمي، فإن التنوع الذي كان في المواد المقدمة وتنوع تخصصات الحاضرين يسهم عند تكرار مثل هذه الجلسات في تذويب جليد التخصصية و إتاحة فرص ذهبية للمتخصصين للتعرف على تخصصات وعلوم ربما كانت غائبة عنهم.

إن أكثر ما دهشت له العدد المهول من أئمة مساجد و طلاب وكافة أصناف المجتمع الذي جاء لحضور المحاضرة التي نظمت على هامش المؤتمر والتي قدمها الدكتور عبد الرحيم سليمان عن الإعجاز في رحلة الإنسان من النطف إلى الجنة أو النار، وهذا إن دلّ فإنما يدل على شعبية هذا العلم و يؤكد الدور الذي تستطيع الجامعات أن تلعبه اجتماعيا وثقافياً. تدرج المؤتمر في تسلسل زمني قدمت فيه أوراق علمية رائعة عن النفس، والقلب، وخلق الإنسان، والصيام، والتباين البشري، والسمع والبصر، والتغذية، والإعجاز الإحصائي والتشريعي، ختمت بورقة ضوابط البحث في الإعجاز العلمي.

إن أعظم ما نستطيع أن نخرج به من هذا المؤتمر هو أنّ كفايات العقول البشرية ليست محصورة في كفايات التجربة العقلية لأن العلم الطبيعي قد ينتهي إلى الغاية من القدرة على صدق الملاحظة ودقة التجربة وأمانة التسجيل و الاستقصاء وحسن الاستنتاج من الوقائع والمقدمات التي بين يديه ... ولكنه يبقى بعد ذلك دون الغاية من ملكة التصور وملكة النظر أو ملكة الرؤيا التي تقدم وراء الواقع على أمد بعيد ولابد من التقدم وراء الواقع في كل حال لتحقيق الغاية من الواقع إلى أقصى حدودها فضلاً عن الخوض في مجاهل الفرض و الخيال.

إن مثل هذه المؤتمرات وسيلة ناجعة لتأصيل العلوم وجعل التعليم امتداداً لبيّنة الرسالة في عصر العلم إذا كان المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه و سلم قد شاهدوا بأعينهم الكثير من المعجزات فإن الله أرى أهل هذا العصر معجزة لرسوله تتناسب مع عصرهم حتى يتبين لهم أن القرآن حق .. اننا برجوعنا إلى كتاب الله عز وجل نستطيع أن تصحيح مسار العلم التجريبي و مناهجه. والمسلك الأمثل والأنفع أن تكون للمسلمين مراكز أبحاث ودراسات تنكب على الموضوعات بعمق وأناة وأن تكون إِشارات القرآن العلمية - وكذلك صريح و صحيح السنة النبوية - هي طليعة ما يدرس ويبحث.

هذا المسلك والمنهج يجعلنا نظفر بالنتيجة سلفًا في بعض الحالات وتبقى معرفة الأسرار و التفصيلات. والتي ينبغي أن تكون هي محل الدراسة والبحث. هذا سيدفع بالمسلمين للاكتشافات الكونية بدوافع إيمانية، فالتفكير في مخلوقات الله عبادة و التفكير في معاني الآيات و الأحاديث عبادة و تقديمها للناس دعوة إلى الله وهذا كله متحقق في أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. كل هذا يجب أن يتم مع مراعاة ضوابط البحث في الإعجاز العلمي، والتي تضع أمام عين الباحث في الإعجاز العلمي مراعاة اتساع محتوى آيات القرآن، وتعدد معانيه، وغنى أعماقه بالدلالات وبالمعاني، مما يساعده على البحث والتقصي، وكل هذا يسهم في تحقيق الهدف الأسمى وهو عبادة الله عز وجل.